الأثر الاجتماعي للثورات

عبدالرحمن مراد

من البديهيات القول إن الثورات تحدث تبدلاً في شكل العلاقة بين الدولة والمؤسسات الاجتماعية والثقافية وبين فرق وطوائف المجتمع، فالتبدل والتغيير من خاصية الثورات التي تحدث وفق فطرة الله في التدافع خوف الفساد والجمود، ووفق فطرته وإرادته في إحداث الانتقال من طور الى آخر في حياة بني الانسان، ولذلك شهدنا تموجات اللحظة الفكرية العربية التي تغوص في أثر التطورات والتي تناقش جدلية الاندماج الاجتماعي والاندماج السياسي للجماعات والأحزاب والطوائف،

إذ في نهارات ثورة 25 يناير في مصر كان الفكر الاجتماعي يتحدث عن جدلية الاندماج الاجتماعي والسياسي للأقباط بعد صعود رموز تيار الاسلام السياسي الى مؤسسات الدولة وتواتر الحوادث الطائفية وتغاير الخطاب السياسي والثقافي وتبدل شكل العلاقة بين الدولة والمجتمع وتراجع مؤشر دولة القانون، وفي مثل تلك المناخات القاتمة والضبابية التي مر بها المجتمع المصري كان من الضرورة بمكان أن تزداد الولاءات للانتماءات الأضيق وتنشط حركة التحيز والاصطفاف والاستقطاب وفي ظل الشعور العام بتلاشي الطابع التعددي لصالح الأحادية الفرعونية القائمة على مبدأ «ما أريكم إلا ما أرى» وتنامي الشعور بالعزلة والاغتراب والإقصاء، انفجرت ثورة «30 يونيو» كنتيجة طبيعية لمقدمات منطقية، وبالضرورة حدث تبدل وتغيير في شكل ومضمون العلاقة بين الدولة والمجتمع وأصبح الحديث مركزاً حول حالة الانقسامات في المجتمع المصري وأصبح تفكير الفكر الاجتماعي يدور حول حالة الاندماج السياسي والاجتماعي للجماعات والتيارات الاسلامية السياسية وبدأ بعملية التفكيك للمنظومة الثقافية وللمنظومة البنائية الهرمية وبشكل متغاير عما كانت عليه أو كان عليه المنهج الفكري للجماعات في التناول والتحليل والمعرفة.

> **الذين ذهبوا للساحات يجنون الحصاد المر**

ثورة «30 يونيو» تركت أثراً كبيراً في المعادلة الوجودية، فالذين كانوا موضوع الدرس والتحليل للاندماج السياسي والاجتماعي كالأقباط والتيارات الحداثية حين توغل التيار الاسلامي في مفاصل ونسيج الدولة في مصر أصبحوا الآن هم الأكثر اشتغالاً بدمج التيار الاخواني في البنية الاجتماعية والسياسية، إذ أن حالة الانقسام والانكفائية على الـذات، والتمحور حولها سمات بـارزة في البنية التنظيمية والعقائدية والثقافية للاخوان، فالاستعداد النفسي والاخلاقي والثقافي للاندماج السياسي والاجتماعي للاخوان يكاد يكون منتفياً، فجّل التجارب التاريخية دلت على استحالة التفاعل بين جماعة الاخوان وبين الآخر سواء أكان ذلك الآخر متجانساً ثقافياً وعقائدياً أو غير متجانس، وفي حالة الاضطرار لا تعدم أن تجد خوفاً وتربصاً وتقية.

وحين نتحدث عن الاندماج فنحن نبحث عن الوسيلة المثلى لدعم قيم التسامح وقبول الآخر والاعتراف بوجوده والتعايش معه واحترام معتقداته وثقافته، فالحاجة الى إدماج كل الطوائف والفرق والجماعات في إطار المواطنة الحقيقية أصبح ضرورة في كل دول الربيع العربي واليمن على وجه الخصوص من أجل توطيد الروابط الاجتماعية والمشاركة في النشاط الاجتماعي المتنوع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وبما يحقق الاستقرار والشعور بالوجود.. فالتعدد ظاهرة محمودة وهو واحد من مصادر القوة إذا تم تفعيل حقوق المواطنة المتساوية واحترام الهويات المختلفة داخل الدولة، وقد قيل إن التنوع يكون مصدراً لثراء المجتمع ولن يكون عائقاً أمام تنميته في حال أحسنا التعامل معه وأحسنا إدارته.

والقارئ لمستوى الحركة الاجتماعية والثقافية والسياسية في اليمن يدرك الأثر الذي تركته الأحداث في شكل العلاقة بين الدولة والمجتمع ومدى التبدل في البناء العام، فالذين شاركوا في صنع الأحداث لم يخطر في بالهم يوماً ما ان يطالهم التبدل والتغيير، وظنوا الثورة فعلاً عابراً أو حركة انقلابية تعيدهم في سماء المشهد أكثر قدرة وأكثر تمكيناً، ولم يدركوا الأثر الذي تتركه الثورات في البناء العام ومقدار التبدل الذي يحدث، إذ كل حركة ثقافية أو تاريخية تعمل في بنية المجتمع وتعيد صياغته، وقد تتمايز الفئات والجماعات وتتحول موازين القوى، وما حدث في حاشد في الأيام القليلة الماضية لم يكن معجزة بل كان حركة اجتماعية طبيعية، فالثورات تنتفض على رموز الماضي وتفرز لنفسها واقعاً جديداً وهو ما سوف نشهد صورته المشهدية في قابل الايام، فالرموز التاريخية لن يكون حظها وافراً في خارطة اللحظة التي هي فيها ولا في المستقبل المنظور، وثمة تبدل وتغير فالماضي لا يمكنه الاستمرار، وعلى الذين ذهبوا الى الساحات ورأوا فيها خياراً اجتماعياً وخياراً سياسياً واقتصادياً أن يتقبلوا النتائج، فهم يجنون ثمرة ما زرعته ألسنتهم ومواقفهم وخياراتهم وتلك هي طبيعة الثورات في كل مسارات التاريخ.

الوعي الاجتماعي في حاشد كان ضحية تعسف رسمي متعدد الجوانب والآليات أخضع مشاعر الناس وعقولهم الى اللجوء للتصور بأن مفهوم الدولة لا يتجاوز الهيمنة السياسية (التي كان الشيخ وأولاده يمارسونها عليهم) ومجموعة الرموز التي يخضعون لها.. الآن تغير هذا الوعي، وقابل الأيام ستشهد بزوغ قيادات جديدة من بين ركام اللحظة.

فتوى تكفير وقتل

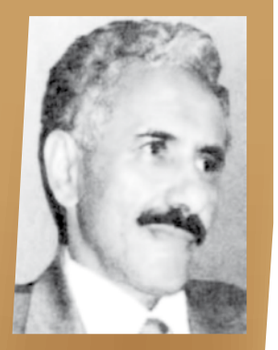

مطهر الأشموري

منذ 2001م كمحطة أمريكية أعلنت الحرب ضد الإرهاب فالاخوان أذعنوا لما هو مباشر أمريكياً، وتواروا في جحورهم وأقبيتهم كما الخلايا النائمة والرئيس السابق هو الذي دافع عن جامعة الإيمان ورفض تسليم الشيخ عبدالمجيد الزنداني أو غيره لأمريكا.. ولكن وحين تنفيذ عمليات معدودة محدودة ضد الإرهاب سخر الاخوان منابر الجوامع لمهاجمته باعتباره سمح باختراق أمريكي للسيادة اليمنية وتفريط بالوطن من قبل النظام والرئيس السابق.

الإخوان بهذه المواقف منذ 2001م كانوا رافضين «الحرب ضد الإرهاب»، لكنهم ومنذ 2011م باتوا مع الحرب ضد الإرهاب وأكثر بكثير مما كان يسير فيه الرئيس السابق الذي كانوا يدينونة بالتفريط وطنياً.

محطة 2011م تعني تموضعاً للاخوان في السلطة أو النظام كما مصر وليبيا وتونس، وتعني مقابل ذلك أن ينقلب الاخوان على انفسهم فيصبحوا ضد الإرهاب ومع الحرب ضد الإرهاب كما تريد أمريكا..إذا الاخوان والمشترك يريدون الاحتفال بما تسمى ثورة 2011م فالإنجاز الوحيد الذي تحقق هو تصعيد وتوسيع الحرب ضد الإرهاب.. أما الانجاز الثاني الذي حقق أو تحقق فهو السلمية في الحل السلمي وهذا الانجاز لا أحد اختاره وأراده وحلم به غير الرئيس السابق علي عبدالله صالح.. فيما الاخوان والمشترك أجبروا على القبول به والسير فيه.

> **دُمر الإسلام بمسمى الجهاد وتدمر الأوطان بمسمى الثورات!!**

باستثناء تصعيد الحرب ضد الإرهاب وتوسيعها أمريكياً والحل السلمي في كل الأمور في الواقع وفي كل جوانب سارت وتسير للأسوأ وللمزيد من السوء حتى أصبحت معاناة عامة، الشعب «مأساوية» والفوضى والانفلات الأمني وانعدام الاستقرار «مكارثية».

ثورات 2011م الأمريكية الغربية ليست قدوتها كما طرح وتم تهيئته كواجهة «تركيا الاخونة» لأنها بالافعال تسعى لإعادة المنطقة الى صراعات أوروبا في القرون الوسطى.

فالقدوة في الافعال والتفعيل هي الكنيسة والقساوسة والرهبان في العصور الوسطى وذلك هو الدور الذي تؤديه الأطراف السياسية الدينية على مستوى المنطقة وفي كل واقع.

ربما من انجازات الثورة صدور فتوى تكفير وإباحة قتل «37» عضواً من أعضاء مؤتمر الحوار الوطني.. أكتفي في التنفيذ بتصفية د.أحمد شرف الدين، وهكذا فثقل الثورة يمارس تكفير الحوار ومؤتمر الحوار وأعضاء الحوار من مدلول ومشمول الافتاء وإن يمارس التنفيذ بقدرٍ من الحسابات السياسية.

الجهاد الاسلامي مع أمريكا في افغانستان هو الذي أعاد أمريكا لغزو مباشر لافغانستان بعد أحداث سبتمبر 2001م.. وحرب مواجهة خطر الثورة الايرانية من العراق هي التي أعادت أمريكا لاحتلال العراق 2003م.

وحيث أمريكا لا تستطيع تمرير الغزو المباشر كما تقدم الحالة السورية مقارنةً بالليبية لعدد من البلدان فإنها اختارت بديلاً غير مباشر هو الثورات في 2011م، ومن هذا يأتي التقارب أو تشابه وواحدية المشاهد في افغانستان والعراق وفي بلدان ثورات 2011م.

لقد وقفتُ والكثير من ابناء الشعب من أجل الحل السلمي ولم نكن مع استمرار الحاكم ولا مع حسم ثوري لأن في كلا الخيارين ما يفضي الى اقتتال ودماء ودمار.

اصطفاف ما كانت تسمى الثورة وصف ووصم من يمارسون الاصطفاف مع «الحل السلمي» أو من أجله بـ«القمامة والزبالة.. الخ».

تشاء الأقدار أن يضطر أو يُجبر هذا الاصطفاف من مختلف الاتجاهات على السير مع ما كنا نرفعه ونطالب به وهو «الحل السلمي».

حينذاك فإن من ساروا في «الحل السلمي» ليسوا قمامة وزبالة.. الخ، بل يجسدون التحضر والمدنية والحكمة اليمانية.. فهل سمعتهم عن أثوار وأبقار أكثر من هذا، ومن هم رعاة البقر وأي أبقار باتوا يرعونها منذ عودتهم من افغانستان؟

الحاكم العربي الوحيد الذي اعلن من أول وهلة استعداده للرحيل على أساس «الحل السلمي» هو الحاكم العربي الوحيد الذي استهدف بتفجير إرهابي وهو يؤدي صلاة الجمعة داخل مسجد دار الرئاسة.. فإذا هذه هي السلمية فكيف يلتقي وصم الارهاب ووصف السلمية؟

فساد حكومة الوفاق في الفترة الانتقالية بسقف العامين ضرب الأرقام القياسية للفساد في ظل أي نظام أو أية حكومة.. إذا ذلك استمد وموروث من اثقال وارضية واصطفاف ما سميت بثورة فالهدف من التمديد لفترة انتقالية ثانية إنما يعطي للفساد دفعاً واندفاعاً فوق أي قلق وخوف.. الفترة الانتقالية هي كفرضية من أجل التهيئة للانتقال للأقاليم والدولة الاتحادية، وبالتالي فآخر حكومة في دولة الوحدة ستشعر وتحس أنها الأحق بفساد أكبر وأكثر من أية حكومة «إذا قد أنت رايح.. كثر بالفضائح».

وهكذا فالفترة الانتقالية الأولى والثانية إنما تمثل الأسوأ في تعذيب عامة الشعب والانتقام منه بوعي أو بدون.. فأي ثورة هذه التي تضاعف معاناة الشعب وتستمرئ تعذيبه وتمارس الانتقام منه ثم تستخدم شماعة تحميل غيرها المسئولية.

في ظل تهاوي الخلافة العثمانية ومجيئ الاستعمار والاستعمال البديل تولد من هذا التموضع ما سمي ثورة عربية كبرى، ومن وضع وتموضع أمريكا والغرب وحاجيات مشاريع وصراعات مصالح تخلّق ما سمي ثورات وربيع عربي من محطة أمريكية تجسد الشراكة الاستراتيجية مع اسرائيل واشراك أوروبا مصالحياً..

فإذا الاسلام المعتقد يتاجر به في هذه المحطة الأمريكية لخدمة مصالح اسرائيل، فماذا تعني ثورة عربية أو ثورات عربية كبرى أو ربيع عربي ونحو ذلك؟!!

تسلم الأيادي..

أحمد مهدي سالم

● نبدأ بزامل يافعي:

يحيى عمر قال يا طرفي لِمَهْ تسهرْ
وإنْ شفت شي في طريقك وأعجبك شلَّهْ
وإن كان عادك غريب ما تعرف البندر
إذا دخلت المدينة قول بسم الله

استهللنا مقالنا بالشّل والشلول الذي يعني الفيد والغنائم التي يحوزها مسعرو الحروب، والمستفيدون من تبعاتها وإضرامها، وتوسيع مساحاتها.. كمدخل الى الحديث عن الشلل.. مرتكز المقالة.

حملات مكافحة شلل الأطفال في بلادنا كثيرة ومتواصلة.. ويتم الإعلان رسمياً عن خلو اليمن من الشلل فتأتي موجات من النزوح الأفريقي فيجري التخاطب مع منظمة الصحة العالمية.. وهات يا حملة تتبعها حملة.. للقضاء على الشلل.. وهذا جميل من جانب، وإن كان من جانب آخر.. فيه طلبة الله، وهناك كثير من المناطق لم تصلها حملات مكافحة الشلل.. أبو يمن يعرف كيف يلعب مع المنظمات الدولية.. ومع بلاده أيضاً، ولماذا نلومهم؟ والحكيم علي ولد زايد قال:

من سبَّة الفقر الأحلاف
أمسيت من فقر ليله
زاني وسارق وحلاّف

ونشوف الشلل في الأداء الحكومي الوزاري والخدمي من أعلى الى أسفل.

ومع تقديرنا للإنجازات العالمية لبطلنا نسيم كشميم.. الا أن نتيجة لعبة الملاكمة.. الشلل الرعاش.

وأمامنا اسطورة الملاكمة محمد علي كلاي.. أتألم عندما أراه وكُل جسمه وأطرافه تهتز.. وعندنا الشلل الرعاش يتحول الى الشلل الفحّاش الذي أوشك أن يصير ثقافة قذفت بها على سواحلنا النظيفة سفنُ الربيع العربي.

هذه الحكومة أياديها مشلولة مرتعشة لا تستطيع اتخاذ قرار حازم بشأن قضية ما..؟ وذلك الوزير مسلوب الإرادة.. مهزوز مشلول الأداء والتفكير.. يشوف التخريب والإفساد، والانتهاكات في مصالح تقع تحت إشرافه.. فلا يقدم على القرار المناسب، ويلتمسون له ولحكومته أنهما خائفان، والصحيح أنهما ليسا خائفين لأنها أشكال ديكورية لقوى نافذة تدير الأمور من خلف الستار.

صار الشلل ورفيقه المناضل الارتعاش.. خاصاً وبشكل حصري.. في دول الربيع العربي..مقتصراً عليها، ولا يتعداها الى سواها.

في مصر عملت جوقة الفنانين أغنية خاصة للمشير عبدالفتاح السيسي بعنوان «تسلم الأيادي»، وانتشرت انتشاراً سريعاً حتى أن الفنان سمير غانم في آخر لقاءاته مع قناة «on tv» روّج لها بفكاهة حلوة: أون في في.. قال: مرة واحد اخواني اشترى لزوجته حبة بطيخ (حبحب) كبيرة، ودق الباب وفتحت له فشافتها وقالت له وهي تتلقاها منه: تسلم الأيادي.. راح مطلقها.

رد الاخوان بأغنية (تنشل الايادي) وصارت (تسلم الأيادي) السلام الجمهوري لثورة 30 يونيو 2013م على الاخوان.

المواطن المسكين الذي تفاقمت معاناته من فساد ظن أنه سيزول؛ فإذا به.. يتعالى بشكل مهول في بلد يسير الى المجهول.. يدعو على قيادة وحكومة بلاده بالشلل، ويذكرنا بحكاية عنترة المقهور من عمّه مالك الذي حرمه من زواجه بعبلة؛ فأنشد، من حرقة شديدة، داعياً على عمّه:

سقى الله عمّي من الموت جرعةً
وشُلّتْ يداه بعد قطعِ الأصابعِ

ياالله - دعوة أليمة حارقة مخيفة، مرعبة طالعة من قرارات حاسمة وخطيرة، مرسلاً رسائل الى المسؤولين الامريكيين المتقاعسين.. حقاً قد يُشل الجسم، أو جزءٌ منه، ولا يصاب الفكر بالشلل.. فما رأي المسؤولين الأصحّاء بدنياً المشلولين فكرياً؟!

من يحشد ويجتهد ويبالغ في الحشد بقصد إصابة بلاده بالشلل أو الفشل.. قد يوصلها الى لحظة الدمار الكلي؛ وهذه عقلية نيرونية.

من قال: إن نيرون مات، ولم يمت! ألم يقل الرائي البردوني في تعزيز المغزى ذاته:

كأنَّ أبا لهب لم يمتْ
وكُل الذي مات ضوء اللهب

إيماءات:

● كثرت الأيادي المرتخية المرتعشة.. في مواقع صنع القرار.. في دول الربيع المزعوم.

● من كثرة الصدمات والانتكاسات بعد التهاليل المتسرعة تعلّمت أن أرشّد فرحي وأضغط على جرحي.. إني متشائم حتى أرى إيناع الحوار أو دخان الدمار.

● الكل في دول الربيع.. تسيسوا.. من بائع الخضار.. الى الحمّال.. إلى جدّتك.

● «مخطئٌ من يظنُّ أنّ الثورة نزهة، وأنّ التغيير رحلةٌ بحرية جميلة».د. محمد عفيفي: مؤرخ مصري.

● ما ذنبي ان كنت تعاني من الغباءِ السياسي النادر، والعناد الأناني المكابر؟!.. يهناك.. يهناك الغباء الجديد!

آخر الكلام:

الحربُ أوّل ما تكونُ فتيّةً
تسعى بزينتِهَا لِكُلِّ جهولِ
حتَّى إذا اشتعلَتْ، وشبَّ ضرامُها
وَلَّتْ عجوزاً غيرَ ذاتِ حليلِ
شطحاءُ يُنْكرُ لونُهَا، وتغيَّرَتْ
مكروهةً للشَّمِّ والتَّقبيلِ

امرؤ القيس

ربيع الذئاب

خالد القمادي

يقول أبو فيشي انكشف أمس النقاب
عن الربيع وأنفاسه اليوم خامده
ان جيت اقل «ثورة» فوالله انو انقلاب
ون قلت هي تغيير فهيذه فاسده
جوّب عليّ هاجسي.. باوضح الجواب
الصح أزمة من جماعة حاقده
خطط لها «الاخوان» ونفذها الشباب
و«المستفيدين» «الحراك» و«القاعدة»
ربيع الاخوان.. ذي فتح للشر باب
واسقط نظام اليوم يحني ساعده
وحده!! وصارت بين أنياب الذئاب
من حولها سوء النوايا عاقده
والأمن ما بين الف مخلب والف ناب
اغسل يدك يا شعب مابش فايده
غير انهم زادوا اشعلوا عود الثقاب
وأيقظوا الفتنة وكانت راقده
هذا ومن كان الدليل له الغراب
بايوصله الى جثامين هامده
هذا ابتلاء يا رب منّك أو عقاب؟؟
وحادث «النهدين» جريمة شاهده